

أوسكار وايلد

من الظواهر المألوفة في تاريخ الفكر الإنجليزي أن المذاهب الاجتماعية ومدارس الفن تصل إلى إنجلترا بعد جيل أو جيلين من ظهورها في بلاد القارة الأوروبية . ولعل عزلة بريطانيا وراء المانش هي علة ذلك .

فرونسار والثورة على الأوضاع الأدبية في القرن السادس عشر ظهرا في فرنسا قبل شكسبير ومنهجه الانتقالي في إنجلترا ، والأدب الإنجليزي في تلك الفترة مدين للأدب الفرنسي بالشيء الكثير سواء في مادته أو في شكله . كذلك نضج ما يسميه النقاد بالأدب الكلاسي في فرنسا قبل نضوجه في إنجلترا ، وتتلذذ درايدن على راسين و بوب على بوالو ونقلتا عنهما أصول الإنشاء التقليدي . ثم ظهر ما يسميه النقاد بالأدب الرومانسي في فرنسا وألمانيا ومن ثم انتقل إلى إنجلترا ، وتناسخ روسو في شلي وجيتي في وردزويرث .

ولكن في الأدب الإنجليزي حركة ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر تعرف بحركة « نهاية القرن » كان عمادها أوسكار وايلد . ولم تكن هذه الحركة تياراً محلياً بل كانت كالعادة صدى لحركة مماثلة لها عند الفرنسيين . على أن هذا التيار لم يتأخر في الانتقال كثيراً كما تأخرت التيارات السابقة في الانتقال ، فظهرت المدرستان في باريس ولندن في جيل واحد . ولعل تقدم وسائل الاتصال هو السبب في ذلك .

فما هي المبادئ الأساسية في أدب أوسكار وايلد ، وما علاقته بحركة نهاية القرن ، وما الخصائص التي تفردها إنشاؤه فجعلت فضله على الأدب المذكوراً ؟

١

ولد أوسكار وايلد في السادس عشر من أكتوبر سنة ١٨٥٦ بمدينة دبلين حاضرة إيرلندا لأب ذاع صيته في طب العيون وتمددت فضاءه حتى تردد على

المحاكم بسبب صبواته ، وام تشتغل بالكتابة وتهييج الرأي العام حاولت في شبابه أن تقنع الإيرلنديين بأن يهاجروا قلعة دبلين ويطردوا الإنجليز منها . وأهم ما يعرف عن أيام حداثة في المدرسة أنه كان يمقت الألعاب الرياضية ويحيد اليونانية ويظيل من الأحلام . وقد جنى من حبه لآداب القدماء جوائز جامعية أدخلته كلية ترينيتي بدبلين حيث تتلمذ على الأستاذ ماهافي وتأثر بدعوته إلى إحياء حضارة اليونان ، ثم كلية مودلين بأ كسفورد . وفي أ كسفورد تعرف وايلد على الناقد العظيم جون رسكين وهو من دعاة الثورة على الآلة والعودة إلى العمل اليدوي ، وكثيراً ما خرج وايلد مع رسكين ليصلح الطرقات لاجباً في الطرقات ولكن حباً في رسكين . كذلك تعرف وايلد على الناقد العظيم وولتر باتز صاحب الدعوة إلى عبادة الجمال . وقبل أن يتخرج وايلد في أ كسفورد بدأ في تلك الجامعة حركة لإصلاح الأزياء ، وكان يقول إن إصلاح الملابس أهم للمجتمع من إصلاح الدين .

تم انتقل إلى لندن وهناك أم ندوات الفن والأدب وخالط مشاهير رجال العصر : خالط الشاعر ولیم موريس الناقد على الحضارة الآلية الداعي إلى الصناعة اليدوية ، والرسام هويسلر والممثلة الين تيرى وبرنارد شو وفرانك هاريس وسائر رجالات الأدب ودخل المجتمع الأرستقراطي فأصاب فيه نجاحاً عظيماً . ولكن دخله الشخصي المحدود لم يكن يكفيه ليحيا هذه الحياة المترفة فنشر ديواناً من الشعر الرديء تلقاه النقاد ببرود وتلقاه القراء بشغف . وكان محبوب طرقات لندن في زى عجيب يلفت الأنظار فأصبح حديث الخصاص والعام وجعل الناس يقبلون على شراء ديوانه .

ولكن كل هذه كانت حاولاً مؤقتة لضائقتة المالية ، ولم يسمعه إلا دعوة وصلته سنة ١٨٨٢ من أمريكا ليلقي فيها سلسلة من المحاضرات بأجر لا بأس به . ثم عاد من أمريكا إلى باريس وأقام فيها وقتاً قصيراً كتب أثناءه تراجيدياً منظومة لاقيمة لها تدعى « دوقه بادوا » ، ولما نقد ماله القليل رجع إلى إنجلترا محبوب بلدانها محاضراً ومحدثاً . وفي ١٨٨٤ تزوج من ابنة محام تدعى كوستانس ماري لويد ، واستقر في حي تشلسي بلندن وأنجب منها ولدين واشتغل بنقد الكتب للصحف الأدبية . ولكن موهبته الأولى وهي فن الحديث كانت تنمو مع الأيام حتى أصبح وايلد أعظم محدث في إنجلترا ، بل إن من النقاد من لا يجد له

كفراً في التاريخ بين المحدثين . وقد اعترف له كل من عرفوه من أقطاب الآداب في إنجلترا وفرنسا بسحر الشخصية وخصوبة الفكاهة وطلاقة اللسان . وكان إذا تحدث مزج الهزل بالجد والشعر بالفكر والخيال بالواقع فأسر قلوب السامعين ، وفي ذلك تروى حكايات لاحصر لها تثبت أن وايلد كان إمام المحدثين ، يفتن أصدقائه ويروض أعداءه بفكاهته المشرقة وذكائه المتسلائي وقدرته على التعبير الجميل .

وتولى وايلد تحرير مجلة « عالم المرأة » مدى عامين ، واشتغل بين عام ١٨٨٥ و١٨٩٠ بوضع مجموعة من القصص القصيرة أشهرها « جريمة اللورد آرتساقيل » والقصص الخرافية وأشهرها « الأمير السعيد » و « بيت الرمان » ، كما كتب بحثاً في سونيات شكسبير دعاه « صورة مستر . ه . ه . » ومؤلفاً في فلسفة الفن اسمه « النوايا » . وفي ١٨٩٠ نشر قصته العظيمة « صورة دوريان جراي » تباعاً في مجلة لينكوت ثم جمعها وأضاف إليها وصدّر لها في العام التالي وأخرجها في صورة كتاب . وقد أحدث ظهور هذه القصة ضجة كبرى في الأوساط الأدبية واثارت نائرة الصحف واتهمت وايلد بأنه كاتب منحل ، ووصفت كتابه بأنه منافٍ للأخلاق وما هو كذلك ، فنقاد اليوم يصفون وايلد بأنه كاتب أخلاقي من الدرجة الأولى . وفي عام ١٨٩١ نشر وايلد بحثه المشهور « روح الإنسان في النظام الاشتراكي » وقضى الشطر الأكبر من تلك السنة بباريس يكتب مسرحيته العظيمة « سالومي » باللغة الفرنسية . وفيما كانت ساره برنار تعد العدة لإخراج هذه التمثيلية في لندن جاء أمر السلطات بمصادرتها وتحريم إخراجها ، فأعلن أوسكار وايلد أنه سوف يهاجر إلى فرنسا ويتجنس بالجنسية الفرنسية احتجاجاً على هذه المعاملة . ولكنه لم يفعل ، ومضى في الكتابة وظهرت على المسرح كوميدياته المشهورة « مروحة الليدي وندرمير » سنة ١٨٩٢ ثم « امرأة لا أهمية لها » سنة ١٨٩٣ ثم « أهمية أن تسمى إرنست » و « الزوج الكامل » سنة ١٨٩٥ .

وهكذا بلغ أوسكار وايلد في عام ١٨٩٥ قمة مجده وأصاب من المال ما تنماه لنفسه ، ولكن المجد أفسده فجعله يتنكر لأصدقائه القدماء ويضيق صدره بنصح الناصحين ويعرب عن آرائه في معاصريه بصراحة مؤذية ، فانقض من حوله أصحابه وكثر أعداؤه وباتت حياته الخاصة مضغة في أفواه الناس ، ولم يبق له إلا

جماعة من السفلة المتزلفين يرضونه طمعاً في ماله . وفي العام نفسه نزلت به المحنة الكبرى التي حطمت حياته جملة ، فقد أهانه المركز كوينسبرى واتهمه في أخلاقه ، فلم يسع أوسكار وايلد إلا أن يرفع أمره إلى القضاء ويطلب عقاب المركز كوينسبرى . ولكن المحاكمة انتهت بالقبض على أوسكار وايلد ، وهكذا تغير الوضع ووقف المدعى موقف المتهم ، وثبت للمحلفين شدوده ، فصدر الحكم بحبسه سنتين مع الأشغال الشاقة قضاها بين سجن وانذويرث وسجن رديج وذاق فيهما مرّ العذاب . ولكن الشهور الستة الأخيرة من حياته في السجن كانت محتملة ، فقد سمح له بالقراءة والكتابة بعد أن تشفع له أصدقاؤه . وفي السجن مر وايلد بنوبة تصوف شديدة وجذبته شخصية يسوع المسيح فكتب إلى صديق له خطاباً مطولاً يفيض بالتوبة نشر فيما بعد تحت عنوان « من الأعماق » بعد استبعاد ما جاء به من عبارات شخصية .

وبعد أن خرج وايلد من السجن نرح إلى برنيقال بفرنسا ، وهناك عاش تحت اسم سباستيان ماموث ، وفيها أتم قصيدة طويلة هي « سجن رديج » بقلم ج ٣ - ٣ وهو الرقم الذي كان يحمله أيام أن كان سجيناً . ولكن نوبة التصوف التي اعترته داخل السجن زالت عنه بعد خروجه منه ، وعاد أوسكار وايلد كما كان العابد اللاهى المقبل على أطايب الحياة ، ولم تذهب المحن بمرحه ولا بملكته على السخر بكل شيء . ويبدو أن الاختبار العصيب الذي مر به قد شل إرادته مهائياً ، فكف عن الكتابة حين ترك برنيقال وذهب ينتقل بين أصدقائه بنابولى وسويسرا وجنوب فرنسا ثم هبط باريس أخيراً وفيها حضرته الوفاة سنة ١٩٠٠ . مات وثنياً كما عاش وثنياً ، ولم يخنه مجونه حتى وهو يجود بأنفاسه الأخيرة .

٢

يعد أدب أوسكار وايلد ثورة على الأدب الفكتورى ، اى ثورة على الأدب الإنجليزى فى عصر الملكة فكتوريا . ولم يكن وايلد الناثر الوحيد على ذلك الأدب ، ولكنه كان أنشط الناثرين وأقوام شخصية وأكثرهم جلجلة لأن سلاحه كان الهجاء . وقد هجا وايلد القرن التاسع عشر ، وأفكاره ونظمه ورجالاته أمر الهجاء ، وبذر بذور الشك فى سلامة المجتمع الفكتورى فهد بذلك

لأدب جديد لا أثر فيه لفلسفة القرن التاسع عشر . ومع أن وايلد لم يترك أثراً ملحوظاً في أحد من كبار الكتاب المحدثين اللهم إلا أولدس هكسلي فقد لعب دوره التاريخي الأوهو تحطيم الأصنام القديمة وتهيئة الجول للمعبودات الجديدة ، معبودات القرن العشرين ، وليس هذا بالعمل الهين .

كان العصر الشكثوري في إنجلترا عصر رخاء ، ولكن أقرب إلى التعبير العلمي أن يقال أن حضارة القرن التاسع عشر كانت حضارة البورجوازية ، حضارة الطبقة المتوسطة ، كما كانت حضارة القرن الثامن عشر حضارة الارستقراطية ، حضارة الأشراف . وقد بدأ القرن بالبورجوازية الشائرة المكافئة صاحبة المثل العليا الداعية إلى تكبير الملكيات المستبدة وإلغاء امتيازات الأشراف وتحرير العبيد ، المطالبة بالتصويت العام والتعليم العام وتكافؤ الفرص وبقية حقوق الإنسان ، المناهضة بالحرية والأخاء والمساواة كما كان يقول الفرنسيون ، وانهى القرن بالبورجوازية المنتصرة المستقرة الراضية التي تنشأ الهدوء وتكره كل تغيير اجتماعي ، البورجوازية الغنية صاحبة الامبراطوريات التي لا تغرب عن أملاكها الشمس ، الباطشة بالحركات العمالية المناهضة للتصويت العام والتعليم العام وتكافؤ الفرص المصادرة لحقوق الإنسان الخائثة بعهود الحرية والإخاء والمساواة . أما شاعر البورجوازية الساخطة فقد كان شلي وأما شاعر البورجوازية الراضية فقد كان تينسون .

وقد ظلت البورجوازية ساخطة حتى تم لها النصر الأخير على الأرستقراطية وتمت لها السيادة السياسية والاقتصادية داخل إنجلترا وخارجها ولم تكن تلك السيادة لتم لها في القرن التاسع عشر لولا أنها استحدثت في القرن الثامن عشر انقلاباً في وسائل الانتاج خطير الشأن هو الانقلاب الصناعي . فما أن جاء عصر الملكة فكتوريا حتى كان الانتاج الآلي قد بلغ حداً عظيماً من الوفرة والانتقان . وكان لا بد للانتاج الآلي الضخم من أسواق ، أسواق للخامات وأسواق للاستهلاك ، فكان الاستعمار . ولم تولد الطبقة البورجوازية بالانقلاب الصناعي وحده ، فقد كانت في أوروبا طبقة بورجوازية متاجرة قبل أن توجد الطبقة البورجوازية الصانعة ، ولكن التقدم الآلي العظيم هو الذي ضاعف حيويتها وأنضج فلسفتها وأثبت أهليتها للحكم وإدارة البلاد .

فالعصر الشكثوري إذاً كان عصر الآلة والانتاج الضخم والرخاء والتمدّد

الاستعماري . وقد كانت الانسانية ترجو من وراء الانتاج الآلى خيراً كثيراً فوجد بعض المفكرين أن هذا النصر المادى العظيم يحقق لها الخير الذى ترجو وبشروا بأن غاية النشاط الاجتماعى هى « التقدم » وآمنوا بأن الانسانية قد « تقدمت » فعلا فى ظل الملكة فكتوريا ! وكان تَنسيون شاعر الملكة إمام المعبرين عن هذه الفلسفة .

ولكن فريقاً آخر من المفكرين لم ير فى الحضارة الآلية والتوسع الاستعماري والرخاء المادى إلا نذيراً بانهيار عظيم يوشك أن يعصف بكل ما تعزز به الإنسانية من مثاليات . وقالوا بأن روح الإنسان فى خطر لأن الآلة تحكمه وأن الفردية فى خطر لأن الآلة تصب الأفراد فى قوالب متشابهة كما تصب المعادن فى قوالب متشابهة . وأن المجتمع فى خطر لأن الفردية تختفى ، ودعوا إلى تحطيم الآلة والعودة إلى العمل اليدوى ونسجوا جواً من سحر الخيال حول المدينيات الغابرة التى سبقت الانقلاب الصناعى .

فمنهم من دعا للرجوع إلى العصور الوسطى الرسام مادوكس فورد والرسام الشاعر روزيتى والشاعر وليم موريس والناقد جون رسكين وأرخوا انهيار القيم العليا بظهور رافائيل قطب حركة النهضة الأوربية وكتبوا عن الفرسان والحب الروحى ومجدوا الفن القوطى الذى تجسدت فيه آلام المسيح والزجاج الملون فى الكاتدرائيات الأثرية وتكثكك بعضهم قليلاً أو كثيراً .

ومهم من دعا للرجوع إلى حضارة هيلاس ، حضارة اليونان ، ونادى بالوثنية الفنية على الأقل كـوولتر باتر وأوسكار وايلد وجورج مور وماكس بيربوم وليونيل چونسون وإرنست داوسون الخ ولقبوا بالهلينيين واصطنعوا حركة لعبادة الجمال وعبادة الحس على غرار الإغريق ، ومجد بعضهم المجتمع الأثينى الذى كان الفرد فيه حراً من أكثر القيود الخارجية ودعوا إلى إحياء الروح اليونانية التى كانت تحرص على تقديس الحواس حرصها على تقديس العقل ، وزعموا أن فى الشخصية جانباً اجتماعياً يتكون عن طريق التقليد وتوارث اختبار الغير وجانباً فردياً يتكون عن طريق الاختبار المباشر الذى يصل الانسان بالخارج رأساً دون حاجة إلى وساطة الآخرين وحكموا بأن الأول زائف لا نفع فيه وأن الثانى هو أساس الفن العالى والعلم العالى وسائر القيم الانسانية العليا ، وجروا وراء الاختبار المباشر وتقديس الحواس حتى عرف أكثرهم بين الناس بالإباحية

والبوهيمية والانحراف . وهذه عبادة الجمال التي كان أوسكار وايلد رائدها وهذه حركة نهاية القرن .

وهي كما ترى حركة بورجوازية رغم ثورتها على البورجوازية ، وهي بورجوازية لأنها ظهرت لتنعى ذبول الفردية ، وتتهم الآلة بأنها علة ضياع الشخصية في الناس وفي إنتاجهم وتقرن بين الفن والفردية ، وتندب الزمن الخالي أيام أن كان النجار فناً ذا أسلوب يصنع الموائد على طراز وصانع الأحذية وصانع الساعات وصانع النسيج فنانيين يضعون شخصيتهم فيما ينتجون .

لقد كانت البورجوازية أيام كفاحها مع الأرستقراطية نائرة متحررة من القيود العقلية والقيود الأخلاقية الموروثة تطالب المجتمع بأن يثور على هذه القيود وأن يتحرر منها كما نعرف من فلسفة قادتها المفكرين أشباه روسو وشلي ويبرون . فلما تمت لها الغلبة في عهد فكتوريا بفضل تمام الانقلاب الصناعي أصبحت طبقة محافظة حريصة على تقاليدها مترممة في قوانينها الأخلاقية جادة في عملها متمسكة بالفضائل إلى حد مرهق منصرفة إلى جمع المال و « التقدم » تؤمن

بالعلم وحده لتحقيق هذا التقدم كما نعرف من فلسفة شاعرها الأول تينيسون ولكن وايلد واصحابه أعلنوا حول عام ١٨٩٠ أن القرن التاسع عشر يموت وأن المبادئ البورجوازية الصارمة تموت معه . وسعوا إلى التجديد لاحقاً في التجديد وحده ولكن ليسخروا من البورجوازية المحافظة ، فابتكروا الملابس الغريبة الزاهية والأدب الغريب الزاهي ، ومزقوا التقاليد حيث مجدها الفكتوريون وأسرفوا حيث اقتصدوا وانصرفوا إلى انتهاب لذات الحياة حيث تشددوا في الفضيلة وهزءوا من نظرية التقدم وعرضوا بالعلم وقالوا بأن الفن طريق الخلاص .

قال وايلد وزملاؤه إن المجتمع ما زال بالعلم يحميه حتى حرره من سلطان الكنيسة وضغط الجماهير ووقى العلماء تدخل السلطات باسم الأخلاق أو باسم العقائد العامة ، وطالبوا المجتمع أن يفعل بالفن ما فعله بالعلم وظهرت بينهم نظرية الفن للفن وأنكروا أن يتقيد الفنان بقواعد الأخلاق أو أن يوضع الفن في خدمة المجتمع . وهذا أوضح مظهر للروح البورجوازية الفردية التي تميزت بها حركة نهاية القرن .

وقد أحست إنجلترا في عصر فكتوريا بأنها تستطيع أن تعيش بمعزل عن القارة الأوروبية مكتفية بنفسها وركدت تجارة الفكر بينها وبين فرنسا وسائر

البلدان ولم يبق منها إلا القليل كحالة الشاعر سوينبرن أن يتأثر خطى بودلير ومحاولة القصصى هنرى جيمس أن يكتب فلووير بالانجليزية . ولكن سيادة إنجلترا الاقتصادية بدأت تترزعزع في نهاية القرن وظهرت فيها بوادر زوال النعمة باشتداد المنافسة الخارجية ، فليس غريباً إذا أن يزول عن الانجليز صلفهم الأول وان ينمو في إنجلترا إحساس بالحاجة إلى التعامل الثقافى مع دول القارة فتخرج من عزلتها وتقبل على إنتاج الفرنسيين ، والروس ، والألمان . ومن يدرس حركة نهاية القرن يجد أن جورج مور ، وأوسكار وايلد ، والرسم بيردسلى وصغار مدرسة « المنحطين » كما يلقبهم بعض النقاد قد التمسوا وحجهم الفنى في القارة عامة وفي باريس خاصة .

ولقد تتمسح مدرسة ما قبل رفاثيل ومدرسة عبادة الجمال في الاشتراكية ولكن أتباع هاتين المدرستين في حقيقتهم مفكرون فرديون بورجوازيون لا صلة لهم بالحركة الاشتراكية رغم أن وليم موريس قد دعا لنظام الملكية العامة وصور للناس الحياة في المدينة الفاضلة تصويراً جميلاً ورغم أن أوسكار وايلد قد قطع للناس بأن الإنسانية لن تنصر على أوجاعها المادية والروحية إلا باختفاء الملكية الفردية وآية ذلك البغض الشديد الذى حمله هؤلاء وأولئك للآلة ، والاشتراكية العمالية ، الاشتراكية بمعناها العالمى المنظم تمجد الآلة وتعددها الوسيلة الوحيدة لحل مشكلة الإنتاج وإسعاد الملايين وتؤرخ التاريخ الحديث بالانقلاب الصناعى .

فاشترائية وايلد ومن عاصروه إذاً اشترائية خيالية أو اشتراكية طوية كما قد يسمها فردريك إنجلز أحد مؤسسى الفلسفة الاشتراكية . وثورة وايلد على البورجوازية الصناعية هى ثورة المفكر الفردى على الممول الفردى ، ثورة الأديب الذى زاحمه الصحفي فى السوق فكاد أن يخرج من الميدان ، ثورة الرسام على المصور الذى سد عليه سبل العيش ، وجعل المجتمع يهمله ويهمل بصاعته . واشترائية البورجوازيين أشبه بنعيم لايسعد فيه إلا الفوضويون .

كان وايلد الهجاء الأول فى العصر الفكتورى ، ولكنه لم يتعرض قط فى هجائه للأشخاص كما كان يفعل الكساندرپوب ومعاصروه من هجائى القرن

الثامن عشر . بل هجا المجتمع ونظمه الأخلاقية والسياسية والاقتصادية وهجا أساليب الفن المعروفة في عصره ، وتجاوز هجا المجتمع أحياناً إلى هجا الطبيعة البشرية ، ولكن يبدو أن شكه في سلامة الطبيعة البشرية شك عارض لاشك أصيل .

ولم يتبع وايلد في كتاباته الفنية طريقة الوصف والنقد كما كان يفعل دكتور مثلاً . بل لجأ إلى السخرية والتمريض ، وله فيهما أفانين مختلفة وقواعد يمكن تبويبها ولكنها جميعاً صادرة عن سجية نادرة شحذها طول المران مرسله إرسالا لأنها جزء من طبعه الهازل الذي لا يفضب للعيوب ولا يسكت عليها . بل يفضحها بالنكته ويشهر بها بالدعابة . وهو يكره أن يمك عصا المعلم لأن المعلمين في نظره قوم مملون ، والمثل آفة الفن وآفة الحياة جميعاً . ولقد تقسو سخريته بالأشياء حتى تحطم الأشياء ولكنها لا تبلغ أبداً مبلغ الثورة ذات البرنامج . وهو يستنبط النكته آناً باستخدام المفارقات وآناً باستخدام النقائص ، وآناً باستخدام ما لا ينتظر ، وآناً بالعبارة الطلية المبلورة . والحدود بين الجد والهزل عنده غير واضحة ، لأنه لم يكن مجرد كاتب ماجن عابث ولم يكن مصلحاً إجتماعياً غابس الوجه يجب الاستشهاد ، بل كان بين بين . لهذا تقرأ أوسكار وايلد فتضحك ، وبعد أن تفرغ من الضحك تبين أن فكاهته تثير فيك أكثر من الضحك ، تثير فيك التأمل وتدعوك إلى الشك في سلامة الأوضاع الاجتماعية القائمة على التمرت الأخلاق والفكرى . كذلك كان يمزج الخيال بالواقع فبعض قصصه شبيه بالأساطير وإن كان مدلولها إنسانياً أو اجتماعياً .

ولقد ترك أوسكار وايلد في برنارد شو أثراً واضحاً من حيث توجيه النكته وطريقتها ، ولكن الفرق بينهما عظيم . فشو كاتب دائم الجد رغم مظهره الساخر ، تلمس جده في كل لحظة من لحظات مرجه ، وشو كاتب « يؤمن » برسالة . يستخدم الفكاهة للدعوة إلى فلسفته الاجتماعية . أما وايلد فجاد ولاه معاً ، يستمتع بالنكته حتى ولو كانت على حسابه أو حساب مبادئه ، ووايلد لا « يؤمن » برسالة لأن الإيمان عنده تعصب ، والتعصب النغماس في تيار الحياة وهو يؤثر أن يقف من الحياة موقف المستعرض لمواكها .

وملكة وايلد الأولى في الحوار وهذا يفسر اتجاهه إلى إنشاء الكوميديات

أوسكار وايلد

وقلة إنتاجه في أشكال الأدب الأخرى . وطلاوة حوارهِ هذه هي التي جعلت منه المحدث الأول في جيله . وطابعه الأول جمال الصياغة وولتر باتر الذي علمه في شبابه كيف يتعبد لجمال الحياة عامه . كذلك كيف يتعبد لجمال العبارة .

أما عيوبه فكثيرة منها عجزه عن فهم القلب الإنساني . ولقد كان أوسكار وايلد حقاً سيِّد من مها سلوك الناس وأفكارهم الاجتماعية ، ولا بأس من أن يقال إنه فضح كذلك بعض غرائز الإنسان التي تتخذ صورة المبادئ العالية ، ولكنه لم ير من الإنسانية إلا جوانبها المؤلمة وِعوض نفسه عن ضياع ثقته في خير الحياة بحبه لجمال الحياة . وقصوره عن النفاذ إلى مكونات الطبيعة البشرية ظاهرة ناسها في انصرافه عن وصف العواطف البشرية العميقة وتركيز انتباهه على سلوك الناس وهفوات الحياة الاجتماعية . والمواضع التي يتعرض فيها وايلد لوصف العواطف البشرية العميقة آية في الرداءة إذا هي قيست ببقية إنتاجه .

ولاشك أن وايلد كان يكرر بعض نكاته في كتاباته المختلفة ولكن هذه زلة تغتفر في رجل أخذ على عاتقه إضحاك الناس طول حياته .

ولقد اتهم وايلد بالسطحية ولعل منشأ ذلك أنه كان يصرّ على الانفصال من الحياة ومشاهدتها عن بعد كالمترجم ويرفض الاندماج فيها . اتهم بأنه يخرج عن طبيعته في كل ما يفعل وما يكتب ، وأنه ما فني يتكلف الموقف والمبادئ حتى صار الكلف طبيعة فيه ، ولكن هذا مفتاح شخصية أوسكار وايلد ومفتاح أدبه ، وقد عرفها في نفسه ومجدها معجيداً ، فجعل من التكلف فلسفة تدرس وفناً يتعب الناس في إتقانه .

لوبيس عوصه